لغز ثوب الزفاف المسكون !

شخصية الآنسة هافيشام ، تلك العجوز الثرية الغريبة الأطوار التي هجرها حبيبها في ليلة زفافها فتوقف الزمن بالنسبة لها عند تلك اللحظة ، ليس من ناحية الشعور فقط ، بل بالواقع المعاش ، إذ احتفظت بكل شيء حولها كما كان تماما في تلك اللحظة وبقيت ترتدي فستان زفافها لما تبقى من حياتها .. مثل بطلة قصتنا تقريبا ، مع فارق أن بطلة قصتنا هي امرأة حقيقية من لحم ودم وليست من نتاج خيال كاتب عظيم مثل ديكينز ، كما أن بطلة قصتنا ظلت على ما يبدو متمسكة بالماضي حتى بعد موتها ورحيلها عن هذا العالم ! .

على ربوة خضراء يقف وحيدا ، لا أنيس ولا ونيس ، كأنما لا ينتمي لهذا العالم ، وحقا فأن من يراه للوهلة الأولى يحسبه معبدا إغريقيا عمره آلاف السنين .. لكن ما الذي أتى بمعبد إغريقي إلى ولاية بنسلفانيا الأمريكية ؟! .. بالطبع هو ليس معبد ، هو منزل .. أو بالأحرى قصر شيده رجل ثري في منتصف القرن التاسع عشر وأراده أن يكون شيئا مميزا يفتخر به على نظراءه من الأثرياء ورجال الأعمال . ذلك الثري أسمه إلياس بيكر ، وهو تاجر حديد من مقاطعة بلير.

إلياس أنفق مالا كثيرا على هذا القصر الفخم الذي أستغرق بنائه خمس سنوات ، وأنتقل للسكن فيه عام ١٨٤٩ مع زوجته وولديه وأبنته الوحيدة آنا . وقد شهد القصر في أوج مجده وعز أيامه حفلات وسهرات

باذخة كانت كل الأنظار خلالها تتوجه صوب الابنة الجميلة آنا ، مدللة أبيها التي لم يكن يبخل بشيء عليها .

الكثيرون تقدموا للزواج من آنا ، لكن أبوها دائما ما كان يجابههم بالرفض ، أراد لأبنته زيجة مميزة جدا ، ربما من ضابط رفيع في الجيش ، أو سيناتور ذو نفوذ ، أو أمير سليل أسرة نبيلة ، أو حتى ملك .. لم لا .. ففي ذلك الزمان لم يتورع العديد من الأثرياء الأمريكيين عن دفع أموال طائلة ليزوجوا بناتهم من أفراد في الأسر المالكة الأوربية ، خصوصا تلك الأسر التي فقدت عروشها وتداركها الإفلاس ، كانوا يشترون النسب واللقب مقابل المال ، أرادوا أن تصبح بناتهم أميرات وكونتيسات ودوقات ...

لكن لسوء حظ إلياس فأن قلب أبنته لم يتعلق بحسب ولا نسب ، بل تعلق بموظف بائس في أحد مصانعه ، هامت عشقا بالشاب الفقير وأصرت على الزواج منه رغم غضب أبيها وتهديداته ، حتى أنها أشترت سرا ثوب زفاف جميل لكي تزف به إلى عريسها الذي كانت بصدد الهروب معه . لكن في آخر لحظة اكتشف الأب خطتها فمنعها من الخروج وحبسها في حجرتها لأيام وأسابيع وشهور متمادية . أما الحبيب الوسيم الفقير ، فقد طرده الأب شر طردة من مصنعه ، ولم يكتف بهذا ، بل مارس نفوذه على السياسيين والشرطة لإبعاد الشاب المسكين عن الولاية بأسرها بعد تهديده بالسجن والقتل .

بعد فترة طويلة سمح الأب لأبنته بالخروج مرة أخرى ، لكنها لم تعد كما كانت أبدا ، فقدت نظارتها ، كزهرة ذابلة ، أصبحت حزينة وواجمة

على الدوام ، شيء ما أنكسر داخلها إلى الأبد ، خصوصا بعدما انقطعت عنها أخبار حبيبها ، على الأرجح أقتنع الشاب باستحالة زواجه منها فقرر أن يمضي في حياته ، ربما تزوج وأنجب من امرأة أخرى في مدينة بعيدة . أما آنا فقد توقف الزمن لديها عند تلك اللحظة التي منعها أبوها من الخروج واللحاق بحبيبها ، ورفضت لاحقا أن تتزوج رغم كل محاولات وإغراءات والدها ، وظلت عانسا لما تبقى من حياتها .

ومرت السنين تباعا .. مات الأب الثري .. ماتت الأم .. مات أبنائهما .. ولم يتبق في النهاية سوى آنا .. أصبحت عجوزا طاعنة في السن ، تجلس لوحدها كل مساء في ذلك القصر البارد الموحش وهي تحدق بعيون تقطر حزنا وأسى إلى ثوب الزفاف الأبيض المعلق في زاوية حجرتها ، ذلك الثوب الذي لم ترتده أبدا ، لم ترقص به في ليلة زفافها كما تفعل كل عروس ، ولم تلمسه وتداعب أزراره أنامل عريسها الموعود .. كم هي موجعة الذكريات عندما تقترن بالألم والحسرة .

أخيرا في صباح يوم ممطر كئيب من عام ١٩١٤ عثر الخدم على آنا ميتة في فراشها ، الدموع في عينيها وهي تحتضن ثوب زفافها بين يديها . وبموت آنا أغلق القصر ، غرق في الظلام ، ظل هناك على الربوة وحيدا مهجورا .. يبعث على الحزن والأسى .

لكن بعد سنوات قررت حكومة المقاطعة شراء القصر من الورثة وقامت بتحويله إلى متحف . الجميل في هذا المتحف أن كل مقتنياته ظلت على حالها ، الأثاث والمرايا واللوحات والملابس الخ .. الداخل إلى ذلك

المتحف كأنما يعود بالزمن إلى العصر الفيكتوري ليعيش أجواءه الساحرة بالصورة والصوت . ولعل أكثر حجرة مميزة في ذلك المتحف هي حجرة آنا التي تقع في الطابق الثاني ، وأكثر ما يجذب النظر في تلك الحجرة هو ثوب زفافها الذي لم ترتده أبدا والمحفوظ داخل صندوق زجاجي .

وغرابة قصتنا تكمن في ثوب الزفاف ذاك ، إذ أن العديد ممن زاروا هذا المتحف أقسموا بأنهم شاهدوا الثوب يتحرك داخل صندوقه الزجاجي ! .. ليس مجرد حركة عادية ، بل هو اهتزاز من جهة لأخرى كأنما الثوب يرقص !! . وبحسب موظفي المتحف فأن ذلك الاهتزاز أشد ما يكون في الليالي المقمرة . بعض المشككين بالقصة قاموا بتفتيش حجرة آنا جيدا وفحصوا الصندوق الزجاجي الذي يقبع فيه الثوب بدقة ، لكنهم لم يعثروا على أي منفذ لتيار هواء أو خيط يمكن أن يكون المسبب لحركة الثوب ، في الحقيقة لم يكن هناك أي مبرر لحركة الثوب سوى شيء واحد .. وهو أن الثوب مسكون! ..

بحسب بعض الروحانيين فأن شدة تعلق آنا بذلك الثوب تدفع شبحها للعودة إلى القصر من حين لآخر لترقص بسكون وهي تحتضن ذلك الثوب الذي طالما حلمت في أن ترتديه وترقص به خلال حياتها كأي عروس سعيدة بليلة زفافها . واليوم يعد ثوب زفاف آنا واحدا من أغرب الأشياء المسكونة في العالم .. فلقد سمعنا عن منزل مسكون .. سيارة مسكونة .. سفينة مسكونة .. أما ثوب زفاف مسكون فهذا أغرب ما يمكن أن يخطر على بال الإنسان حينما يتعلق الأمر بعالم الجن والأشباح والماورائيات .